

**malaamh attafoula khalaal aththawra aljazaa'irya fee nasous allagha
al'arbya lalsna al'awlaa man atta'leem almatoust wa'b'adhaa
attarbouya**

ملامح الطفولة خلال الثورة الجزائرية في نصوص اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط وأبعادها
التربوية

**The Features of Childhood During the Algerian Revolution in Arabic
Texts for the First Year of Middle School and Their Educational
Dimensions**

شفيقة بن الشارف¹ Chafika.Bencharef

¹ جامعة محمد خيضر - بسكرة - (الجزائر)، chafika.bencharef@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2025/12/30

تاريخ القبول: 2025/11/7

تاريخ الاستلام: 2024/3/3

Abstract : The Algerian child is an integral part of the social fabric and an important link in the popular cohesion. He lived the liberation revolution like other groups, participated in it innocently and was inspired by the heroics of adults to grow and thrive on the love of the country, and draws with his courage heroics that cannot be overlooked. This study attempts to unveil what the children presented during the revolution, by extrapolating the literary texts in the Arabic language book for the first year of intermediate school, to revive them in the hearts of the emerging independence and to draw lessons from their noble attitudes towards the homeland.

Keywords: Childhood; Algerian Revolution; Arabic Texts; Middle School Education; Educational Values

ملخص: الطّفل الجزائري جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي وحلقة هامة من اللحمة الشعبية، عاش الثورة التحريرية كغيره من الفئات، وشارك فيها بكلّ براءة واستلهم من بطولات الكبار لينمو ويتعرّع على حبّ الوطن، ويرسم بشجاعته بطولات لا يمكن التغافل عنها. وهذه الدراسة تحاول إمطة اللّثام عمّا قدّمه الأطفال إبان الثورة، وذلك باستقراء النصوص الأدبية في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسّط، لإحيائهم في نفوس ناشئة الاستقلال واستلهم الدّروس والعبر من مواقفهم النبيلة تجاه الوطن.

الكلمات المفتاحية: الطفولة؛ الثورة الجزائرية؛ نصوص اللغة العربية؛ التعليم المتوسّط؛ القيم التربوية؛

المؤلف المرسل: شفيقة بن الشارف،

1. مقدمة:

إنَّ التَّوجُّهَ الجديد لمناهج التعليم الجزائرية، بعد سلسلة الإصلاحات التربوية، يسعى إلى بناء شخصية المتعلِّم الجزائري على اعتبارات تفرضها توجَّهات الدولة، وفي مقدِّمتها تعزيز الانتماء الوطني وروح المواطنة، والتي تتضافر لها مختلف الآليات لتجسيدها، إذ لم تعد حكرًا على مناهج مادَّة "التاريخ"، بل اتسعت لتشمل تعليمية اللغات وفي مقدِّمتها "اللغة العربية"، التي هي أهمُّ مقوِّمات الهوية الوطنية، حيث تسخَّر لها النصوص القرائية لبلورة مفهوم "الهويَّة" ونقله للأجيال دونما زيف أو تشويه، إن عن طريق الصُّور أو النصوص، وهذه الأخيرة تحمل زخما وطنيًّا لا يكاد يخلو منه كتاب تعليميٍّ، وعلى وجه الخصوص كتاب السنة الأولى من التعليم المتوسِّط، الذي تمَّ تطعيم مقاطعه التعليمية بعديد السَّير للشخصيات الوطنية ورموز المقاومة الشعبية، كما تنقل للمتعلِّم النموذج "الصَّغير" للوطنية والفداء، من خلال صور الطَّفولة الثَّورية، سعيا إلى غرس روح التضحية في سبيل الوطن، ولا تستثنيه من "حبِّ الوطن" والدِّفاع عنه، فهو رجل الغد الذي يجب أن يشبَّ متشبِّعا بالقيم الوطنيَّة وفي مقدِّمتها مبدأ المواطنة.

أهمية البحث:

لا جرم الإجهار بالقول أنَّ الثَّورة الجزائرية قد رسمت نموذجا فذًّا للإنسان الحرَّ، لذلك تعدُّ مرجعية لكلِّ الأحرار عبر العالم، و نموذجا في الانعتاق من ربق الاستعمار مهما طال حكمه واشتدت قبضته، وهو ما يعطي للبحث أهميَّته، كونه يدرس ظاهرة تاريخية من وجهة نظر النصوص القرائية، التي تَوَرِّخ لأحداث هامَّة من محطات الثَّورة، وترسم ملامح لشخصيات تتعلَّق بتلك الأحداث على اختلاف فئاتهم العمريَّة، وهذه الدِّراسة ينصبُّ اهتمامها على فئة هامَّة من المجتمع وهم النَّاشئة، الذين يجب تشبُّعهم بروح الوطنية والاستماتة في الدِّفاع عن مقوِّمات هويَّتهم بكلِّ أبعادها، وذلك بنقل صور البطولة إليهم من خلال محتويات المناهج الدِّراسية، وفي مقدِّمتها مناهج اللغة العربية كونها أهمُّ مقوِّمات الهوية الوطنية.

وعلى اعتبار طفل اليوم هو رجل الغد، فإنَّ مسألة إعدادهِ وتكوين شخصيته لا بدَّ أن يتَّخذ من "القُدوة" مرجعا ومُلهما له، لذلك تعكف الدِّراسة على إبراز ملامح طفولة الثَّورة

المتضمنة في مناهج التعليم المتوسط، وما تسهم به من بعث للروح الوطنية في نفوس أبنائنا اقتداءً بسلفهم الغير بعيد عنهم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الوقوف على جملة من النقاط أهمها:

-الدور التاريخي والتعليمي للنصوص القرائية الموجهة للسنة الأولى من التعليم المتوسط.

-وصف ملاح طفولة الثورة؛ السياسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية.

-إبراز الدور النضالي لطفولة الثورة التحريرية.

-الوقوف على القيم التربوية التي يجسدها أطفال الثورة التحريرية من خلال النصوص القرائية للغة العربية.

منهج البحث: ارتكز البحث على المنهج الوصفي، وقد اعتمد أسلوب تحليل المحتوى؛ وهو "من أساليب البحث العلمي التي يكثر استخدامها في دراسة موادّ الاتصال، ومع تفاوت الأهداف الخاصة بكلّ بحث يستخدم في تحليل المحتوى، إلّا أنّ لاستخدامه فيها جميعا هدفا أساسيا، مؤداه تعرف اتجاهات المادّة التي تتمّ دراستها، والوقوف على خصائصها بطريقة علمية منظّمة" (طعيمة، 2004، صفحة 17) إنّه: "أسلوب [...] يندرج تحت منهج البحث الوصفي، والغرض منه معرفة خصائص مادّة الاتصال أو الكتب المدرسية" (الهاشمي ومحسن علي عطية، 2014، صفحة 175) وقد استعان به البحث للوقوف على معالم صورة الطّفل الثّوري في نصوص اللغة العربية الموجهة لمتعلّم السنة الأولى من التعليم المتوسط، وذلك باستقراء محتوى كتب اللغة العربية للطّور المتوسط؛ من نصوص قرائية، وصور لمختلف رموز النّضال الوطني، كما اهتمّت الدّراسة في شقّها التطبيقيّ بمعالم شخصية طفل الثورة من خلال نصّ قرائيّ مختار من المحتوى الدّراسيّ للسنة الأولى متوسط معنون بـ "فداء الجزائر"، والذي ورد ضمن المقطع التعليميّ الثّاني (حبّ الوطن)، لاستنطاق محتواه البطوليّ من خلال نموذج الطّفلين: "زهور" و"مخلوف"، كونهما يجسّدان آمال وآلام أطفال الجزائر إبّان الثّورة التحريرية.

2. الثورة الجزائرية والطفولة:

1.2 تعريف الثورة (Revolution):

لفظ "الثورة" لم يرد في المعاجم العربية بالمعنى السياسي المعاصر، حيث جاء في "الصاح" قوله: "ثار الغبار يثور ثورًا -ثورانا- أي سطع، [...] انتظِر حتى تسكن هذه الثورة، وهي الهيجُ، وثورَ فلانٍ عليهم الشرُّ أي: هيجه وأظهره [...] والثور الذَّكر من البقر، والأنثى ثورة." (الجوهري، 2009، صفحة 83)

ووردت في "المنجد" بمعنى الهيجان والغضب قوله في مادة (ثار): "ثار ثورًا وثورًا وثورًا: هاجَ [...] الثورةُ: الهيجانُ." (معلوف، د ت، صفحة 75)

وجاء في المعجم الوسيط بأنها: "تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية، يقوم به الشعب في دولة ما." (أنيس، 2008، صفحة 102)

والثورة مفهوم يعني في استعماله الواسع: "قيام شعب بحركة سياسية أو عسكرية أو هما معًا، من أجل تغيير وضع راهن سيء، وإبداله بوضع جديد أفضل منه." (مرتاض، د ت، صفحة 24)

كما تعرف الثورة أيضا بأنها: "تغيير جوهري في الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولة معينة، لا تتبع في أحداثه الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري لتلك الدولة." (مرتاض، د ت، صفحة 24)

ومما سبق سقوه؛ يمكننا القول بأنَّ الثورة هي مفهوم يراد به: حالة الغضب والهيجان التي تتملك شعبا معينًا نتيجة أوضاع سياسية واجتماعية ممارسة عليه بسبب سلطة أجنبية تنتهك نظامه، وتعتدي على خصوصياته؛ الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، مما يستدعي اللجوء إلى وسائل يستعيد بها ما تمَّ انتهاكه أو سلبه.

2.2 واقع الطفل أثناء الثورة الجزائرية:

الثورة الجزائرية من الناحية الإنسانية؛ مأساة (تراجيدي) بكلِّ ما تحمله الكلمة من أبعاد ومضامين، "وهي أكبر مأساة للشعوب في القرن العشرين بعد المأساة الفلسطينية." (العسلي، 1986، صفحة 9) وهي من الناحية السياسية؛ من أعظم الثورات التي شهدتها القرن العشرين، يتردّد صداها ويرتبط ذكرها بكلِّ فكر أو نزعة تحرّرية، إنّها نموذج

للانعتاق والحرية والتضحية والفداء، التفّ حولها الكبار والصغار الرجال والنساء، فضربت أروع النماذج في البطولة، ومنها بطولة الأطفال والشباب .

لقد كان أطفال الجزائر أبرأ ضحايا الحرب التحريرية؛ عاشوا أوضاعا يغلب عليها الحرمان والفقر، وتأثروا كغيرهم من فئات الشعب؛ مجردون من أبسط حقوقهم، وفي مقدّمتها سلب طفولتهم وقلب موازينها، فتحوّلت ابتساماتهم إلى دموع، وأحلامهم إلى آلام، وفرحتهم بالحياة إلى أحزان، "وقد ورد في تقرير لنشرته لجنة الدفاع الوطني لمجلس الشيوخ الفرنسي تحقيقات عن مآسي مرعبة عاشها هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين فقدوا المأوى والملجأ، ورأوا بأمّ أعينهم آباءهم يُعدمون، فحفرت تلك المناظر المُفزعة في مخيلاتهم وقلوبهم، فهم لن ينسوها أبداً، وقد فرت آلاف عديدة من هؤلاء الأطفال مخترقين الحدود التونسية والمغربية، هاربين من وحشية الاستعمار الفرنسي". (العسلي، 1986، صفحة 134)، أمّا من تخلّفوا عن ركب الفارين فقد تأثروا بالسياسة الاستعمارية، فحرموا الاستقرار وتشرّدوا في الشوارع محرومين من أبسط الحقوق؛ لا مأوى ولا مأكّل ولا ملبس، كما دفعتهم الظروف إلى العمل لدى "الكولون"، فمسحوا الأحذية على أرصفة الطرقات وفي الأسواق، وباعوا الجرائد... وغيرها من الممارسات التي سلبت منهم براءتهم وألبستهم ثوب القهر، ولكنّها في المقابل علّمتهم دروساً في الوطنية وألهمتهم حبّ الحرية والتّطلّع إليها.

لقد بعثت كلّ تلك الظروف في الأطفال الإيمان بالقضية الجوهريّة المتّقدة في كيان كلّ جزائريّ وهي "الحرية"، وأنّ الاستعمار شرّ لا بُدّ من اقتلعه حتى الجذور، فتكوّن الوعي بالقضية الوطنية لديهم بسبب احتكاكهم بالمجاهدين، "فانجذبوا إليها بقوة، فصهرتهم وخلّقتهم، وصنعت منهم ثوّارا واصلوا المسيرة إلى النّهاية، فكانوا أقوى الإمدادات المجنّدة لها على طول امتداداتها". (نعمان، 1974، صفحة 161)

ومن رحم المعاناة وُلد الأبطال، "فكان من الثابت أنّ أوّل من تلقّف مبادئ الثّورة وتبنّاها بإخلاص ولا تردّد هي الطّبقات المحرومة، وأكثر من في هذه الطّبقات تحمّسا للثّورة وتفاعلا معها هم شبابها، ومن هنا يمكننا القول أنّ علاقة الشباب الجزائري بالثّورة كانت علاقة جدلية؛ علاقة تأثير وتأثر، وأخذ وعطاء." (ديك، 2012، صفحة 233)

تنامي بها الحسّ بمأساة الوطن (الجزائر)، وحتمية البحث عن الخلاص، فانظّموا إلى

التنظيمات المعروفة والخلايا السرية، و "لم يعد اليتامى أطفالاً وهم يزرعون الموت ويرهبون الطّغاة، وإن كانت أعمارهم لا تتجاوز العشرين، والأربعة عشر، والثلاثة عشر... إلّا أنهم رفضوا أن يُقال عنهم بعد ذلك -أطفال- [...] إنّها (أي الثورة) صنعت من المعوزين والبؤساء أبطالاً، زرعوا الرّعب وأقضّوا مضاجع الغزاة والطّغاة." (خدام، 1977، صفحة 30)

إنّ طفل الثّورة قد حمل مسؤولية التحرير بقلبه وشارك فيها ببطولة واستماتة، وكان محلّ تقدير من طرف الضباط والقادة، ولم يعد صغيراً تحت الوصاية، ينتظر شفقة الآخرين، "بل فرض نفسه كمجاهد، خاض المعارك ونفّذ عمليات صعب تنفيذها على غيره." (خدام، 1977، صفحة 31) وكلّ الممارسات الاستعمارية التي سلّطت على الأسرة الجزائرية؛ من قتل، وتهجير، ونهب لممتلكاتها، لترهيبها ولعزل الأطفال عن الاتصال بالثّورة، قد أتت عليها بنتائج عكسية، فكلّ الأساليب الوحشية -التي فاقت النّازية-، والجرائم الممنهجة ضدّ الشعب الجزائريّ، قد زادتهم إيماناً بالثّورة، ثورة "كشفت عن قيم ومواهب كما تكشف النّار عن المعادن، وتزيل الرّيف وتمسح الغبار عن الجيّد منها والثّمين." (خدام، 1977، صفحة 30)

لقد احتضنت الثّورة فئات الشعب كما احتضنها، فكانت أحداثها مدارس للناشئة، تنمّي فيهم حبّ "الجزائر"، وحضنا يشحن العواطف والعزائم لمواصلة خطّة الكفاح من أجل الحرية، بعدما تشبّع بالقيم والمبادئ والأخلاق، التي تحصّنه بنزعة المقاومة والتحرّر، الرّافضة للوجود الاستعماريّ والتّبعية، واعتباره مواطناً من الدّرجة الثانية على أرضه.

3. القيم التربوية في المناهج التعليمية الوطنية:

يهدف المنهاج التعليمي الجزائريّ إلى تزويد الناشئة بمجموعة من المعارف ذات الصلة بواقعهم، والتي تساعد على فهمه وحلّ مشكلاتهم، وإلى جانبها، يسعى إلى تمثّل العديد من القيم التربوية في شخصية المتعلّم مستقبلاً، فيسهر على تطعيم الموادّ الدّراسية بما يتناسب وقيم الهوية الوطنية، والقيم الاجتماعية، والأخلاقية وحتىّ ذات البعد الإنسانيّ.

1.3 تعريف القيم التربوية:

القيمة (Value) حسب المعجم الفلسفي "تطلق على كلّ ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته، لاعتبارات اقتصادية، أو سيكولوجية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، أو

جمالية". (صليبا، 1982، صفحة 212) ، إنها تعني مجموع الأسس والخصائص الإيجابية المُراد زرعها في نفوس المتعلّمين في محيط تربويّ، وبطريقة منظّمة وهادفة، تساعد على تحديد مواقفهم واتجاهاتهم تجاه أنفسهم وبيئتهم ومن يحيطون بهم. وعليه، فإنّ مناهج "الجيل الثاني" قد حملت تصوّرا جديدا في بناء محتوى الكتب الدّراسية، فأولت اهتماما واضحا بنقل منظومة متنوّعة من القيم من خلال جملة من الآليات وفي مقدّمتها النّصوص القرائية.

وسوقا على ما تقدّم، فإنّ المناهج التعليمية تنوّن إلى تكريس مهام المدرسة الجزائرية من خلال: (الجريدة، 23 جانفي 2008)

-ترسيخ الشخصية الجزائرية وترسيخ وحدة الأمة، من خلال توعية التلميذ بانتمائه إلى هوية تاريخية جماعية مشتركة ووحيدة، والتي تكرّسها رسميا الجنسية الجزائرية، وتجذير الشعور الوطني لديه، وتنمية التعلّق بالجزائر والوفاء لها، وبالوحدة الوطنية وسلامة أراضيها. -التكوين على المواطنة من خلال ثقافة الديمقراطية (أفضل ضامن للانسجام الاجتماعي والوحدة الوطنية) بصفة تساعد على الفهم الأفضل والتقدير الأكبر لأهمية المساهمة الفعالة في الحياة العامة.

ومن القيم التي يريد المنهاج إكسابها للمتعلّمين (الوطنية، 2003، صفحة 6):

أ- **القيم الوطنية:** وتتمثل في تنمية معنى القانون واحترامه، واحترام الغير والقدرة على الاستماع للآخر، واحترام سلطة الأغلبية، واحترام حقوق الأقليات . وإذا كانت اللغة من مقوّمات الهوية ووجه من وجوه ثقافة المجتمع، فإنّ المنهاج يسعى إلى تمكين المتعلّم من التحكم في اللغة الوطنية، وتثمين الإرث الثقافي والحضاري للأمة الجزائرية.

ب- **القيم الاجتماعية:** تنمية معنى العدالة الاجتماعية، والتضامن والتعاون، بتنمية روح الالتزام والمبادرة.

ج- **القيم الاقتصادية:** تنمية حبّ العمل المنتج والمكوّن للثروة، والسعي إلى ترقّيته والاستثمار فيه بالتكوين والتدريب والتأهيل.

د- **القيم العالمية:** تنمية الفكر العلمي، والتحكّم في وسائل العصرية، والاستعداد لحماية حقوق الانسان والدّفاع عنها، والنقّح على الثقافات والحضارات العالمية.

4. دور كتب اللغة العربية للطور المتوسط في تعزيز القيم الوطنية:

1.4 التعليم المتوسط: وهو مرحلة من مراحل التعليم الإلزامي، ويضمّ ثلاثة أطوار، ولكلّ طور كفاءاته الختامية التي تسهم في تحقيق الكفاءة الشاملة للمرحلة، وهي:

-**الطور الأول:** أو طور التجانس والتكيف، ويمثّل السنة الأولى، سنة ترسيخ المكتسبات والتجانس والتكيف مع تعليم يتميّز باعتماده على المادة المستقلّة أكثر، وبإدراج اللغة الأجنبية الثانية (الإنجليزية).

-**الطور الثاني:** أو طور الدعم والتعميق، ويمثّل السنتين الثانية والثالثة، ويخصّص لدعم الكفاءات ورفع المستوى الثقافي والعلمي والتكنولوجي للمتعلم.

-**الطور الثالث:** أو طور التعميق والتوجيه، ويمثّل السنة الرابعة، حيث - بالإضافة إلى تعميق وتنمية التعلّات في مختلف المواد - يتم فيها تحضير توجيه التلاميذ نحو شعب التعليم ما بعد الإلزامي أو الحياة العملية، وذلك بالعناية والمتابعة البيداغوجية وبنشاطات يغلب عليها العمل التطبيقي. ويتوّج التعليم الإلزامي بشهادة التعليم المتوسط. (للمناهج، 2009، صفحة 36).

2.4 اللغة العربية: لغة الهوية الوطنية، ومرتكز بيداغوجي يعمل على تحقيق توافق أفقي بين سائر المواد التعليمية، وذلك من خلال "تحسين تعليم اللغة العربية قصد إعطائها دورها البيداغوجي والاجتماعي والثقافي الكامل، لسدّ حاجات تعليم ذي نوعية، قادر على التعبير عن عالمنا؛ الجزائري، العربي، الإفريقي، المتوسطي، والعالمي، ثم امتصاص النّجاحات العلمية والتكنولوجية والفنية عبر العالم ونقلها. وستتمكّن الممارسة الرّشيدة للغة العربية من التّكفّل بمحتويات اللغات الأخرى من خلال التّحويل المعرفي الذي يساعد على التنمية الشاملة للتّعلم، ويساهم بذلك في تعزيز الشعور بالانتماء لأمة واحدة." (للمناهج، 2009، صفحة 52)، وقد شهدت كتب اللغة العربية بعد إصلاحات "الجيل الثاني"، اعتماد نظام يعتمد على "المقاطع" و"الميادين" لتنظيم المعارف وتبويبها، قصد تيسيرها والقدرة على التّحكّم في كفاءاتها العرضية لبلوغ الكفاءات الشاملة لميادينها الثلاثة؛ فهم المنطوق وإنتاجه، فهم المكتوب، إنتاج المكتوب، ضمن خطة دراسية تحقّق الكفاءة الشاملة لمرحلة التعليم المتوسط.

والمقطع التعليمي هو: "مجموعة مرتّبة ومتراصة من الأنشطة والمهام، يتميز بوجود علاقات تربط بين مختلف أجزائه المتتابعة في تدرّج لولبي، يضمن الرجوع إلى التعلّيمات القبلية لتشخيصها وتثبيتها، من أجل إرساء موارد جديدة لدى المتعلّمين، قصد المساهمة في إنماء الكفاءة الشاملة." (الجعافرة، 2011، صفحة 42)

وقد تمّ تقسيم محتوى كتاب اللغة العربية إلى ثمانية مقاطع تعليمية، ويحتوي كتاب السنة الأولى متوسط على المقاطع التالية: (كحوال، 2016، صفحة الفهرس)

- المقطع الأول (01): الحياة العائلية

- المقطع الثاني (02): حبّ الوطن

- المقطع الثالث (03): عظماء الإنسانية

- المقطع الرابع (04): الأخلاق والمجتمع

- المقطع الخامس (05): العلم والاكتشافات العلمية

- المقطع السادس (06): الأعياد

- المقطع الخامس (07): الطبيعة

- المقطع السادس (08): الصّحة والرياضة

ويقصد بالميدان التعلّميّ ذلك "الجزء المهيكل والمنظّم للمادّة قصد التعلّم، وعدد الميادين في المادّة يحدّد عدد الكفاءات الختامية المحقّقة للكفاءة الشاملة." (البيداغوجيا، 2019، صفحة 4)، وتندرج ضمنه ثلاثة ميادين هي: ميدان فهم المنطوق وإنتاجه، ميدان فهم المكتوب (قراءة مشروحة والظواهر اللغوية)، وميدان إنتاج المكتوب. ويتمّ تنفيذ تعلّيمات كلّ مقطع بميادينه الثلاثة موزّعة على أربعة أسابيع، نوضّحها وفق الجدول التالي:

الجدول 1: مخطط توضيحي لهيكلة المقطع التعليمي

الأسابيع	الوضعيّات	الميادين	
01	تعلّم	ميدان فهم المنطوق وإنتاجه	ميدان فهم المكتوب
02		ميدان فهم المنطوق وإنتاجه	ميدان إنتاج المكتوب
03		ميدان فهم المنطوق وإنتاجه	ميدان إنتاج المكتوب
04	تقويم	الإنتاج الشفوي	الإنتاج الكتابي
	معالجة	الإنتاج الشفوي	الإنتاج الكتابي

المصدر: حسين شلوف، 2019، ص6

ولما كان ولا يزال الأدب مرآة عاكسة للواقع بكلّ مكُوناته؛ الحضارية، والثقافية، والقيمية، فإنّ كتب اللغة العربية تأخذ على عاتقها نقل مكُونات الهوية الوطنية وفي مقدّمتها الهوية التاريخية، وذلك من خلال اهتمامها بـ:

-**الشخصيات البطولية:** إذ ترسم النصوص القرائية بالطور المتوسط ملامح شخصيات كثيرة من التاريخ الوطني، وتعرّز مواقفها النضالية والإنسانية، وقد خصّصت لها مناهج التعليم المتوسط حيّزا معتبرا ضمن مقاطع كتب اللغة العربية ذات الصّلة بـ "حبّ الوطن" و "عظماء الإنسانية" في السنة الأولى والثانية متوسط، ونذكر منها: لالة فاطمة نسومر، الأمير عبد القادر، عبد الحميد بن باديس، جميلة بوحيرد، اللين يستقي المتعلّم من سيرهم ومواقفهم العبر، ويتشّبّع بروح الانتماء للوطن "الجزائر"، ليفخر بأمجاده ويحذو حذوهم في النضال والتضحية والفداء، والعمل لإعلاء رايته خفاقة دائما وأبدا.

-**الأحداث التاريخية:** وتحمل النصوص القرائية للطور المتوسط توثيقا لبعض الأحداث التاريخية المتعلّقة بفترات مختلفة من التاريخ، إذ نجدها تسجّل للتّورات الشعبية ومواقف زعمائها الخالدة، ومنها نصّ (إنسانية الأمير) بكتاب السنة الثانية متوسط (الصفحة 57)، الذي يبرز شخصية "الأمير عبد القادر" وموقفه من الفتنة التي أتت على سورية زمن إقامته بها منفيا عن وطنه، فالحدث التاريخي "نفي الأمير" يحمل بين ثناياه مسار حياة لشخصية أسست الدّولة الجزائرية الحديثة، ومسألة إقامته بالمنفى حدث تاريخي في مسيرة هذه الشخصية العظيمة.

ولا تغفل كتب اللغة العربية الأحداث التي تتعلّق بنفي وتهجير الجزائريين إلى أوطان أخرى مثل "كاليدونيا الجديدة"، وهو ما يتضمّن نص (مهجرون ولا عودة) "للأديبة زهور ونيسي" الذي تضمّن كتاب السنة الرابعة متوسط (الصفحة 150)، وهو مقتطف من مؤلّفها (كاليدونيا، النفي بلا رجعة).

كما تحمل صورا هامة لأحداث تتعلّق بتعذيب الشخصيات الثّورية من أمثال "جميلة بوحيرد"، التي جادت لها قرائح الشعراء وأقلام الأدباء فنا أدبيا يؤرّخ لتلك الحادثة الشنيعة، وقد ورد ذلك من خلال قصيدة (جميلة بوحيرد صديقة الصّحراء وأسطورة القرن العشرين) للشاعر السوريّ "سليمان العيسى" بكتاب السنة الأولى متوسط (الصفحة 54)، و (يا جميلة) للشاعر "عبد الكريم العقون" بكتاب السنة الثانية متوسط (الصفحة 52)، اللذان

شكل حدث تعذيبهما رمزيتيهما النضالية، ووحشية المستعمر وانكساره أمام بطولة أبناء هذا الشعب الأبي، الذي لا يرضى إلا بالعيش حرًا على أرضه وأرض أجداده.

-ثورة نوفمبر ورمزيتهما: "نوفمبر" شهر له قداسته في التاريخ الوطني والذاكرة الشعبية، لذلك تؤكد المناهج التعليمية على ترسيخ المفاهيم والقيم المتعلقة بثورة نوفمبر، كونها تتمازج بها الوطنية والإنسانية والدينية.

وقد وردت عديد النصوص التي تمجد هذا الشهر وتبرز مكانته بين الشهور، ومنها قصيدة شعرية بعنوان (نوفمبر) للشاعر الجزائري "سليمان جوادي".

ولا تخلو صفحات كتب اللغة العربية للطور المتوسط من صورة العلم الوطني الذي يرافق معظم النصوص القرائية التي تمجد البطولات والمآثر، ونجده على كتاب السنة الأولى في (9) صور، والسنة الثانية متوسط في (10) صور، أما في كتاب السنة الثالثة فنجده في صورة واحدة، وفي كتاب السنة الرابعة فنجد له أيضا صورة واحدة، وهو يظهر بأشكال وأحجام متباينة.

وما يلفت الانتباه؛ هو تأثر محتوى صور كتب اللغة العربية بطبيعة مضامين نصوص القراءة، والتي ترتبط بمحتوى المقاطع التعليمية، وهو ما يتجلى بشكل واضح في إدراج الصور ذات الصلة بالثورة التحريرية ورموزها.

5. ملاحم طفل الثورة من خلال نص "فداء الجزائر" للسنة الأولى متوسط وأبعادها النفسية والتربوية:

كتاب اللغة العربية للسنة الأولى متوسط، مرجع بيداغوجي اعتمدته وزارة التربية الوطنية ابتداء من الموسم الدراسي 2016/2017م ضمن سلسلة إصلاحات الجيل الثاني، يحتوي على 147 صفحة، يعتمد نظام المقاطع التعليمية، والتي يبلغ عددها (8) ثمانية مقاطع، يتضمن كل مقطع محورا ثقافيا محددا، ويحتوي على مجموعة من النصوص القرائية تتصل به؛ متنوعة بين النثر والشعر، وتعالج قضايا مختلفة.

ومن المقاطع التعليمية التي تحظى بها الدراسة، المقطع الثاني "حب الوطن"، والذي يحتوي على (8) ثمانية نصوص أدبية؛ (3) منها نثرية، و(5) شعرية، ويهدف المقطع لبلوغ كفاءة ختامية عبر عنها بقوله: "ينتج المتعلم نصا بطوليا عن شهيد من شهداء

الثورة الجزائرية المجيدة، بلغة سليمة يضمّنه قيما وطنيّة يجمع فيه بين السرد والوصف. " (كحوال، 2016، صفحة 31)

ومن نصوص المقطع "قداء الجزائر" على الصفحة 40 من الكتاب، للمؤلف "حنفي بن عيسى"، الذي يرسم بعض ملامح أطفال الجزائر الذين عايشوا الثورة وتأثروا بكل ظروفها المرتبطة بالواقع الاستعماريّ، وتبرز من خلال:

1.5 الملامح الاجتماعية :

إنّ الظروف الاجتماعية التي حتمها الواقع الاستعماريّ، جعلت من حياة الجزائريين رتيبة ومملّة لا تستجيب لطموحات الشعب بسبب انحسار النشاط الاجتماعيّ، وتظهر في النص من خلال مركّبات هي:

أ- المكان: وهو "حيّ القصبة" العريق بالجزائر العاصمة، وهو حيّ شعبيّ، يتميّز بأصالته وطابعه المعماريّ الذي أسهم في خدمة الثوار والثورة، من خلال أزقته الضيقة وتداخل مبانيه وتعرّشها، ولا يخفى على أحد ما قدّمته القصبة من مواقف وبطولات في "معركة الجزائر"، التي شهدت حصارا خانقا من القوات الاستعمارية، بتزايد أعداد "العسكر" في شوارعها ممّا خنق حركة الجزائريين وضيق نطاقاتها.

ب- الزمان: يظهر الزمان جليّا "زمن استعمار"، وقد عمّق الكاتب ذلك من خلال رسمه لحصار القصبة، الذي جدّد له القوة الاستعمارية لقمع الثورة وقطع أواصر العلاقة بينها وبين الشعب، بانتهاجها سياسة الترهيب القائمة على: نشر الحواجز، التفتيش، والاعتداء على الخصوصية.

ج- الحصار: الذي تقوم به قوات "المظليين" الذين استعانت بهم القوات الفرنسية لعزل الثورة ومحاولة إخمادها، ووصفهم النصّ بقوله: "عيونهم الزرقاء المليئة بالقسوة"، و "وجوههم القذرة"، فهم مختلفون عن شخصيات الأحداث بخصائصهم الجسمية والنفسية، يحملون الحقد تجاه كلّ جزائريّ، ولا تعرف قلوبهم الرحمة تجاه كبير أو صغير.

د- التفتيش: وقد "كان التفتيش يتمّ بصورة همجية [...] وكثيرا ما أدّت مثل هذه العمليات إلى جنون أطفال وفساد عقولهم، لأنّ الرعب الذي كان يصبّه أولئك القساة على الجزائريين جميعا، بمن فيهم أطفالهم الصغار، كان شنيعا".

ورغم تلك المظاهر الاجتماعية القاسية التي تؤثر بشكل مباشر على نفسية الأطفال، وتهز أجسامهم الصغيرة، نجد أنّ شخصيتي النص (زهور ومخلوف)، قد تحدّتا وتخطّتا حاجز الخوف والرّبهة اللّذين تمارسهما السّلطة الاستعمارية، فيظهر الهدوء في سلوك الطّفلين "زهور ومخلوف" ليتجاوزا الحاجز، بعدما خضع مخلوف للتّفتيش كما يخضع له الكبار؛ مواجهة الجدار ورفع اليدين، وطلب الأوراق الثبوتية (وثائق الهوية)، وهو سلوك فدائيّ حقيقيّ؛ متطوّع للموت، ومواجه للمخاطر في كلّ مهمّة يقوم بها.

2.5 الملاحم النفسيّة :

يؤثر الجانب النفسيّ على تكوين الفرد جسما وعقلا، "وقد اجتمعت العوامل النفسيّة وتكاملت مع ما فطر عليه الشباب الجزائريّ من خصال طبعيّة خلّاقة، فكانت من أقوى العوامل التي ساعدت في تكوين شباب الثورة التحريرية." وعلى الرّغم من التّأثيرات الاجتماعية والاقتصادية، إلّا أنّ الجوانب النفسيّة كان لها الأثر الأوّل للثّورة على الوضع الاستعماريّ الذي حطّم آماله، ليوافجه بالرّفص والتّمرد على الواقع المفروض والمرفوض بكلّ إغراءاته الماديّة والمعنويّة .

ومن الملاحم النفسيّة التي نجدها مُهيمنة على شخصية الطّفلين "زهور" ومخلوف":
أ- الهدوء: وهو نتيجة الإيمان بالمبادئ والقيم، والتّشبع بروح النّضال، وهو مكّون رئيس من مكّونات الشّخصية البطوليّة، وعامل مهمّ من عوامل النّجاح والنّصر، حتّى يطمئنّ الاستعمار لهما، فيظهرهما على أنّهما ليسا مصدر تهديد له.

ب- الخوف: وهو شعور قد تعايش معه الكبار والصّغار وصار جزءا من يومياتهم أثناء الثّورة التحريريّة، ولكنّ الخوف في النّص نابع من توجّس الفشل في الوصول إلى الهدف المنشود، وذلك بعد تخطّي حاجز المظليّين، ممّا يجعل طفليّ النّص أمام عقبة كبيرة يمكنها الحؤول دون تنفيذ المهمّة الموكلة إليهما، وهو القوّة الاستعمارية التي تنتشر في المكان (المظليّين، الشرطة).

ج- القلق: ويعتري الطّفلين قلق ناتج عن الضغوطات التي تحيط بهما من الظروف الخارجية التي يميّزها الخطر والتهديد، وانعدام الأمن؛ بسبب وجود المظليّين الفرنسيّين، وضرورة تنفيذ المهمّة، بالإضافة إلى عوامل نفسيّة تطبعها خصوصيّة "الطفولة" المحرومة من الاستقرار الاجتماعيّ والأسريّ بسبب الانتهاكات الاستعمارية للحقوق.

د- البطولة والفداء: رغم الحصار الممارس على الأطفال، وتعرّضهم للتفتيش بكلّ قسوة، تبدو ملامح البطولة عليهما، فقد أقدما بشجاعة الكبار على مركز الشرطة (الاستعمارية)، وهما يحملان قنبلتين، يتّجهان بهما نحو الهدف (مركز الشرطة)، في مشهد يصوّر للمتعلّم "حرب العصابات"؛ التي "تصبّ هجوماتها على الجيش الاستعماريّ غالبا، وفدائيين يعملون بصورة منفردة في الغالب [...] وكانت خطة حرب العصابات تتمثّل فيما يمكن أن يتجسّم في شعار (أضرب واهرب) [...] وكانت هذه الخطط في الغالب مبنية على الهجومات السريعة".

3.5 الملامح السياسية :

وتظهر في صورة الطّفلين من خلال:

أ- حبّ الوطن: ويظهر في إنكار الطّفلين لكلّ ما هو فرنسيّ، من النّظام التي تفرضه السلطة على المجتمع، وذلك بالإقدام على رمزية السلطة الاستعمارية (مركز الشرطة) وتقديره، فتظهر وطنية جزائرية تأبى الرضوخ لكل شكل من أشكال "الفرنسة" ولو كانت سلطة لحفظ النّظام الاجتماعيّ.

فالطّفل في النّص (مخلوف)، متمسك بجزائريّته وعروبته، يتحدّث لغة دينه وأجداده، فيهتف بعبارات عربية احتفاءً بنصره على عدوّه قائلا: "تحيا الجزائر"، وقد أظهرت فشل مخطّطات فرنسا الخبيثة لفرنسة هذا الشعب، وضرب مثلا في تمسّكه بعروبته وإسلامه ووطنه، مجسّدا انتماؤه القوميّ والدينيّ والجغرافيّ.

ب- الوعي بالثّورة: وقد نمت بسبب الاحتكاك بالثّورة والثّوار، ومعايشة الأحداث والتأثّر بها، فقد شهدوا الحرمان، والعنف والقتل، والتّعذيب والتّهجير، وأحسّوا بالمعاناة، ممّا أيقض عقولهم وفتح مداركها على ضرورة المشاركة والانخراط في الثّورة إلى جانب الكبار، والمساهمة بكلّ ما يمكنهم لتحقيق الحلم الواحد (الحرية).

ج- رفض الاستعمار: إنّ ثورة الطفولة دلالة صارخة على رفض الاستعمار بعقل الكبير في ثوب الصّغير، سببها السّخط الذي تنامي لديه بسبب الحرمان، ومعايشة مظاهر العنف والقتل التي جعلته شاهداً عياناً على الوحشية البشرية، فتشبع الأطفال بفكر الكبار، ورضعوا كراهية الاستعمار وتدقّقت إلى دمائهم في لبن الأمهات، فشبّوا على عدائيّته ونكرانه، وآمنوا بحتمية إخراجه من الأرض،

د- التضحية والفداء: تعلّم الأطفال دروس الوطنية، وانبهروا ببطولة وبسالة الكبار، فكانت لهم نبراسًا، يحذون فيه حذوهم، يقدمون النفس في سبيل الحرّية.

6. خاتمة:

إنّ الحديث عن الثّورة يعني الوقوف على أهمّ محطات التاريخ الجزائريّ، التي دفع فيها الشعب أغلى الصّرائب ثمنًا للحرّية من براثن الاستعمار الفرنسيّ؛ قوافل من الشهداء والأحرار الذين آمنوا بعقيدة الحرّية وضرورة استرجاعها، وما نصوص القراءة الموجّهة لتلاميذ السّمة الأولى متوسّط، وأهمّها "فداء الجزائر"، إلّا مساهمة أدبيّة في نقل الذّاكرة الوطنيّة عن طفولة محرومة من أبسط حقوقها، إلى طفولة تُعقد عليها الآمال في بناء الأُمّة ومواصلة النّضال، فالأولى ضحّت في سبيل الحرّية والانعتاق، والثّانية عليها التّضحية في سبيل النّهضة، وعلى اختلاف الزّمان ووحدة المكان تستمرّ رسالة الأجيال. وشخصية كلّ من "زهور" و"مخلوف" نماذج بطوليّة يستلهم منها المتعلّم روح الوطنيّة والتّضحية في سبيل الوطن، فيظهر الصّغار كبارًا ولدت فيهم الوطنيّة من رحم معاناة آبائهم وأجدادهم، وتكوّن في عروقهم دم الحميّة للوطن، والعصبية للحرية المسلوبة واسترجاع للحقوق المغتصبة، فهم صورة للمجد الصّغير الذي يكبر يوما بعد يوم في نفوس تؤمن بشروق الشّمس وانحسار الظّلام.

وبعد دراسة جوانب البحث، توصلنا إلى النّتائج التي نذكر أهمّها:

-طفولة الثّورة التحريرية مجرّدة من براءتها مسلّحة بمبادئ قضيتها الوطنيّة.

-طفولة الثّورة تحمل فكر الكبار في موقفها من الاستعمار.

-أسهمت الطّروف السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة لأطفال الثّورة في تنمية وعيهم

الوطنيّ.

-تنشئة الأطفال على مبادئ وقيم الثّورة التّحريرية أفضل سياسة الاندماج الاستعماريّة.

-مساهمة الأطفال في الثّورة التّحريرية كانت فعّالة تعكس شعبية الثّورة الجزائريّة

وشموليّتها.

-النّصوص القرائيّة آليات لنقل الذّاكرة الوطنيّة للمتعلّمين وترسيخ قيم ومبادئ الثّورة

التّحريرية.

-ملاحم أطفال الثّورة التّحريرية لا تخلو من صورة الوطنيّة؛ بصمودها وتحديها وفدائها.

- ينقل نصّ "فداء الجزائر" صورة حقيقية لحبّ الوطن الذي يتنامى في نفوس الناشئة.
- تسهم النصوص القرائية في تصوير أحداث وبطولات تتعلق بأطفال الثورة التحريرية.
- يستلهم المتعلّم من محتوى النصوص القرائية دروس الفداء والتضحية في سبيل الوطن.

6. قائمة المراجع:

الكتب:

- الجعافرة، عبد السلام يوسف، (2011)، مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها بين النظرية والتطبيق، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان (الأردن).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (2009)، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة.
- العسلي، بسام، (1986)، المجاهدون الجزائريون، دار النفائس، بيروت.
- المفتشية العامة للبيداغوجيا، (2019)، دليل تعليمية اللغة العربية لمرحلة التعليم المتوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر.
- أنيس، إبراهيم (2008)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
- ديك، زهرة، (2012)، الحرب التحريرية رصدتها شخصيات تاريخية ونضالية، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر).
- شلوف، حسين، (2019)، دليل استعمال كتاب اللغة العربية السنة الرابعة متوسط، دار الشهاب، باتنة (الجزائر).
- صليب، جميل، (1982)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- كحوال، محفوظ، (2016)، كتابي في اللغة العربية السنة الأولى متوسط، موفم للنشر، الجزائر.
- مرتاض، عبد المالك، (د ت)، دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية 1954 - 1962، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر.
- معلوف، لويس، (د ت)، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- طعيمة، رشدي أحمد، (2004)، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية مفهومه أسسه استخداماته، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الهاشمي، عبد الرحمن، ومحسن علي عطية، (2014)، تحليل مضمون المناهج المدرسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- اللجنة الوطنية للمناهج، (ديسمبر 2003)، مناهج السنة الثانية من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر.
- اللجنة الوطنية للمناهج، (مارس 2009)، المرجعية العامة للمناهج، وزارة التربية الوطنية، الجزائر.

المقالات:

- بن نعمان، أحمد (1974)، دور الشبيبة الجزائرية في معركة التحرير، مجلة الأصالة، العدد 22، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص160-ص169.
- خدام، الطيب، الأسرة الثائرة، أوت 1977، مجلة أول نوفمبر، العدد 23، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، ص28-ص33.